سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب (قرآن مجيد)

هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (قرآن مجيد)

البشرى

مجلة اسبوعية

لسان الجماعة الاسلامية لجمعية اهل الحديث

تبخ تبخ فان وقتك قد أتى وان قدم الحمديين وقعت على المنارة العليا.

السنة الثالثة عشرة | ١٣٦٦ هجرية | العدد السابع و الثامن

مدير البشرى و محررها : — البشر الاسلامي محمد شريف الاحمدي

موضوع العدد { نظام جديد

﴿ بقية الصفحة الاخيرة ﴾ وعلى كل حال إذا شئنا الموازنة ، فان عالمنا الذي يسير ذليلا ينتفع من انتصار الحلفاء اكثر من انتصار قوات المحور .

ما يعود على الهند من انتصار بريطانيا

إن رأيي الذي أعلنته مراراً عن هذا السؤال هو أن مصالح الهند تعاني كثيراً إذا ما انتصرت المانيا ، ومن جهة اخرى فان الهند تربح ولا شك الشيء الكثير إذا ما انتصر الحلفاء ، و لو أنها لا تنال كل ما تصبو اليه . والرأي السائد في بلادنا على وجه العموم هو أنه طالما كنا مستعبدين فلا فرق في أن نكون عبيداً لزيد أو لعمرو ، و لكن هذا الرأي خاطئ لان موارد العالم الاقتصادية ظلت مدة طويلة في ايدى الديموقراطيات فشبعت واكتنزت بدنها بحيث يغلب عليها الشعور بالحاجة الى شيء من الركود والراحة ، أي انها فقدت الى حد ما همها وحيويتها الاولى ، أو هي على كل حال لا تعاني الم الجوع المبيح الذى يعانيه الالمان والايطاليون واليابانيون الذين شأنهم كشأن فلاح صحيح البدن ذى شهية حيوانية حادة ، تنقصه الضوابط الخلقية بسبب ما تأصلت فيه من أباطيل وتربية ناقصة بينما تشبه الامم الديموقراطية التاجر الذى مارس العمل مدة طويلة حتى جمع من الاموال ما يزيد عن اقصى ما يحلم به ، نعم سيظل هذا التاجر بخيلا و على الرغم من اكوام الذهب المتوهج التى يجلس عليها فانه يرحب بأية زيادة تضاف الى ملايينه إلا أن هناك ظروف تجعله يقنع بالاحتفاظ بحالته الراهنة ويطرح الرغبة في الاستزادة وذلك عندما يدله حدسه الصائب على أن هذه الرغبة لا تكون عما قليل مأمونة أو سليمة العاقبة . أما تصرف أمم المحور ساعة انتصارها فيشبه حالة مارد جوعان لاحد لشهوته ، فهي تلتهم كل ما يمكنها أن تضع أيديها عليه غير مكترثة لتلك المبادئ المقررة كالمدنية أو الحقوق الادبية .

يضاف الى ما تقدم أن الديموقراطيات تلتزم دائما عدم التدخل في الامور الدينية الخاصة بالامم الخاضعة لها ، وهي لا تلجأ مطلقا الى الضغط غير المباشر في مجال الدين إلا عند الضرورة القصوى . وطالما نحن نعتقد أنه لن يتحقق سلام أو تقدم للجنس البشري دون وجود الدين ، فلهذا نحن نفضل دائما انتصار الحلفاء ولو أن سياستهم للامم المغلوبة أو الخاضعة لهم لا تبلغ تلك الدرجة من الكمال التى نريدها لهم .

وفي نفس الوقت يجب أن لا يعزب عن أذهاننا تلك الحقيقة الماثلة ، ألا و هي : أن انتصار بريطانيا معناه ايضا انتصار البلشفية ، و البلشفية أشد قسوة من المانيا في مناهضتها للدين . فالانتصار الانجلوسكسوني يخلص العالم - دون شك - من استبداد الاشتراكية الوطنية ولكنه في نفس الوقت يفتح شرايين الجرب بين القوى الروحية والقوى الالحادية . (يتبع)

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية

البشرى

لسان حال الجماعة الإسلامية الأحمدية في الديار العربية

مدير البشرى ومحررها

المبشر الإسلامي محمد شريف أحمدي

(جبل الكرمل - حيفا - فلسطين)

السنة الثالثة عشرة | رجب و شعبان ١٣٦٦ هجرية | العدد السابع و الثامن

نظام جديد

١

خطاب سيدنا و مولانا امير المؤمنين ميرزا بشير الدين

محمود احمد

الخليفة الثاني للمسيح الموعود و المهدي المعهود

(أيده الله بنصره العزيز)

تعريب

الاستاذ محمد بسيوني

﴿ لقد وعدنا قراء البشرى الكرام بنشر خطاب سيدنا و مولانا أمير المؤمنين ميرزا ﴿ بشير الدين محمود احمد ﴾ الخليفة الثاني للمسيح الموعود والمهدي المعهود أيده الله بنصره العزيز ، الذي القاه في ﴿ الاجتماع السنوى للجماعة الاحمدية ﴾ بالقاديان بسنة ١٩٤٢ المسمى بـ « نظام جديد » و ها نحن نبدأ اليوم بتقديمه الى قراءنا الكرام ، شاكرين الأخ الكريم ﴿ الاستاذ محمد يسيوني ﴾ المحترم ، الذى قام بنقله من الانجليزية الى العربية و بذل لنا جهداً جباراً في هذه السبيل ، وندعو الله عز و جلّ أن يجعل سعيه مشكورا و يجزيه عنا أحسن الجزاء ، و يمتعنا بطول بقاء الامام و يطلع شموس طالعه و ينزل عليه و على والده ﴿ احمد ﴾ المسيح الموعود و مطاعه ﴿ محمد ﴾ ﷺ بركاته الى ابد الآبدين . محمد شريف ﴾

قال أيده الله تعالى بنصره العزيز بعد التشهد و التعوذ و تلاوة سورة الفاتحة : —

« إن الموضوع الذي عزمت على معالجته اليوم (١) يرتبط ارتباطا وثيقا بنظام التحريك الجديد ، و هو في الواقع تحريك جديد يطبق على مدى واسع بشكل عالمي ليعالج المسائل المعقدة المحيرة التي تواجه الانسان فى العصر الحديث ، تلك المسائل التى يجب عليه أن يحلها و إلا عانى صرح المدنية أضراراً لا يمكن التكهن بعد بمداها .

كلما بحثت أو شرحت نظام التحريك الجديد للجماعة (الاحمدية) كانت خطتي الى هذه اللحظة أن أقصر معالجتى لهذا الموضوع على النواحي التى تهم الفرد ، أما أهمية هذا النظام إذا ما طبق في شكل عالمي على مدى الحياة الاجتماعية للجنس البشري فقد بقيت دون أن تمس لأنه — من ناحية القول — قد استكملت النواحي التي يتضمنها هذا النظام في ذهني تدريجاً . فعند ما عرضت المشروع على الجماعة في خطبتى الأولى عالجت تلك الأوجه التي ألقاها الله تبارك و تعالى في قلبي و شرحت تلك الأوجه طبقا للشرح الذى جاءني منه سبحانه و تعالى و لذا فمن الحق أن أقول إن كثيراً من مزايا هذه الحركة ظلت الى مدة خافية علي . و هذا هو السبب في بقاء هذه الناحية التى سأتجه اليها اليوم محجوبة عني بعض الوقت ، و لعل الله تبارك و تعالى أراد ألا تبسط صفحات هذه الناحية المطوية أمام ذهني إلا فى الوقت المناسب عند ما يكون العالم في أشد الحاجة اليها .

---

(١) ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٢ . محمد يسيوني

ملخص الموضوع

يتلخص الموضوع الذى سأعالجه فى أن التحريك الجديد الذى بدأه أو بعبارة أدق الذي بدأه الله بواسطتى . هذا التحريك طبقا للتقدير الالهي ، يرمي من جهة ، الى وضع النواة التى تحقق أغراض الاسلام الأساسية عند ما تكتمل أثماره ، و من جهة اخرى يرمي الى تقوية دعائم الانسانية .

و هنا أرى لزاماً علي أن أنبه الاخوان الى أن ما سيتلو ذلك من بحث للموضوع قد يبدو لأول وهلة أنه غير مرتبط بالتحريك الجديد ، ولكن إذا صبر الاخوان على الاستماع و أبدوا الانتباه الواجب فسيجدون أن كل البحث ينطبق تماماً على التحريك الجديد .

الظروف المحيطة بالتحريك الجديد

إن الأشياء تبدو على أحسن وجه و أجمله إذا ما نظرنا اليها في البيئات التي تناسبها . أما إذا نزعناها من مواضعها الطبيعية فانها تفقد جمالها ، فلاجل أن أسهل الالمام بالتحريك الجديد أرى المستحسن أن أتناول مجموع أحوال العالم عموما التي نشأت منها الحاجة الى حركة من هذا النوع .

ثمر بالعالم أمام أعيننا تغيرات عميقة و بعيدة الأثر ، فما ذا تعني هذه التغيرات ؟ وما ذا تنذرنا به ؟ و ماذا يكون تاثيرها على مستقبل الجنس البشري ؟ و ما ذا يكون تاثيرها على مستقبلنا نحن عند ما نحس بوطأتها ؟ ما ذا يكون تجاوب بقية العالم الاسلامي لها ؟ و كيف نحمي انفسنا منها إذا كانت هذه التغيرات ستؤدى الى ما هو أسوأ ؟ و كيف و الى أي مدى يمكن أن نقبلها إذا كانت نافعة و مفيدة ؟ هذه أسئلة حيوية بالنسبة الينا .

الفروق بين الطبقات فى عصرنا الحاضر وأثرها

لنتناول الاختلاف بين الاغنياء والفقراء ، لان هذا هو أصل كثير من المشاكل . ففي هذه الناحية يجري فى العالم تطوران خطيران . فمن جهة نجد أن التباين بين الغني والفقير يزداد ظهوراً بشكل محسوس مؤلم ، و من جهة اخرى نجد أن شعور الفقراء بهذا التباين يزداد عمقا و مرارة .

إن الاختلاف بين الاغنياء و الفقراء هو اختلاف قديم العهد ، لان الغني و الفقير كانا موجودين دائما ابداً ، و لكن أغنياء الزمن الغابر يختلفون في أشياء كثيرة عن أغنياء زمننا هذا . إن الرجل الغني من الطراز القديم يندر وجوده الآن . و البقية القليلة الباقية من هذا النوع نحيا في مواضع نائية عن طريقنا فلذا لم تمسها المؤثرات الحديثة نسبيا . لاشك في أن السيد القديم كان يملك المال و القمح الوفير فضلا عن أشياء أخرى كثيرة تفي بحاجات الانسان ، ولكن استعماله لهذه الاشياء التي أسمي وضعها كان يتميز بسخاء و كرم لا نحلم به في عصرنا هذا . منذ عهد غير بعيد كان إذا انتاب المرض سيداً بنجابيا (١) و الجأه الى الاقامة بعض الوقت في لاهور للاستشفاء كان هذا الذهاب الى لاهور في ذلك الوقت يتطلب من الجيران — كما سمعت — أن يزوروه يومياً في جماعات كبيرة العدد للسؤال عن صحته ، وكان يبلغ عددهم أحياناً الى ثلثمائة أو أربعمائة في اليوم الواحد ، و الامر الغريب في هذا أنهم جميعا كانوا يحملون اليه الهدايا ، فواحد يحضر نعجة وواحد يحضر كمية من الارز وآخر يحضر شيئا من السكر أو القمح أو الدقيق و هكذا ، وذلك لانه لم يكن من الذوق أن يزور الانسان سيداً و هو خالي اليدين ، و كان على السيد من جهته أن يواجه هذه الحالة بإعداد مطبخ كبير تجهز فيه هذه الهدايا و تطهى ثم تقدم الى الضيوف ، ومن ثم كان يطعم مئات من الناس يوميا .

أثرياء اليوم وأتباعهم

وهكذا فانه مع وجود الاغنياء في الزمن الغابر لم تكن الطريقة التي ينفقون بها أموالهم لتثير حفيظة الفقراء و حقدهم بسبب تجاهل وجودهم و تعريضهم للمذلة والهوان ، أضف الى ذلك أن التابع في تلك الايام كان يختلف جداً الاختلاف عن التابع في زمننا هذا . إذ كان يعيش وسط العائلة و كان يخدم فيها كأنه جزء لا يتجزء منها . لا شك أنه كانت هناك فروق فمثلا لم يكن للخادم و لا لأولاده أن يتزوجوا من عائلة سيدهم . و هكذا فان ظروف الحياة في ذلك الوقت كانت لا تجعل الفروق الاجتماعية بين السيد و المسود بينة مثيرة كما هو الحال الآن . فاذا ما سافر السيد في عربة كان الخادم يجلس بجواره أو يسافر في عربة أخرى خلفه . و بالطبع كانت هذه تقل عن الاولى مظهراً إلا أنها قريبة الشبه بها . و إذا ما سافر السيد

(١) أي من مقاطعة البنجاب بشمال الهند و هي موطن الامام . محمد بسيوني

ممتطيا جواداً كان الخادم يتبعه على جواد آخر و إن كان يقل عنه جمالا ، وإذا ما اشتد الحر والضيق فكلاهما كانا يتصببان عرقا و يلهثان طلبا للهواء أثناء جدهما فى السير معا ، و إذا ما أمطرت السماء فان البلل يصل الى جسميهما معاً . و في مقابل ظروف الحياة البدائية الخشنة هذه نجد الآن عربات « بولمان » الفاخرة المجهزة بآلات تكييف الهواء وعربات الدرجة الثالثة التي يحشر فيها الناس حشراً و كأنها علبة سردين .

هذا التباين الظالم (المتأرجح) ينطبق بنفس الآثار السامة على مختلف نواحي الحياة التي يحياها الاغنياء والفقراء اليوم . خذ الملبس مثلا ، فالغني له حلة الصباح وحلة لوقت الراحة و حلة لعب « الجولف » و حلة للركوب و حلة للصيد و معاطف لقبلة الشتاء و ملابس ناعمة للصيف يختار منها ما تطلبه الحاجة أو ما تفرضه مستلزمات الزي « الموضة » فى كل وقت بينما يقاسي الفقير لفحات البرد و هو يهرع الى بيته فى المساء و يتسرب البلل الذى يغطي الشوارع الى قدمه من ثقوب حذائه البالي .

خذ المساكن كمثل آخر ، فهناك القصور الفاخرة التي تحيط بها الاراضي الممتدة بغاباتها و مماشيها المشذبة و حدائقها المزدهرة فتعكس ظلالها على تلك القصور الشاهقة العظيمة القائمة وسط هذه الالوان الساحرة و الروائح الخلابة .

أما داخل هذه القصور فان ما حوته من زخارف و ذكريات الصيد التي تتمثل فى رؤس و قرون الحيوانات التي جلبت من أمكنة بعيدة و ما تضمه من البسط السميكة والمنسوجات الغالية والستائر المصنوعة من الحرائر الشفافة الثمينة و أدوات المائدة المصنوعة من الصيني الغالي المصقول والرسوم والصور العائلية والترف الذي لا حد له فى غرف المطالعة و غرف الاكل وغرف النوم ، كل هذه الاشياء تدل على ثروة لا تقدر و فراغ لا نهاية له . فاذا ما فكرت فى مقابل ذلك فى اكواخ الفقراء الحقيرة فسيزول عجبك من هذه الثار التي تتأجج فى قلوب الفقراء .

زيادة الوعى

أضف الى ذلك أن الفقير الآن لم يعد هزيلا جامداً ، بل إنه أخذ يشعر و يشعر بعمق ، ففيما سلف كان يظن أن الثراء يأتي من الله ، فاذا ما مس الانسان الجوع و العرى كان يعتقد أن هذه هي ارادة الله ، و لكن التعليم الحديث قد استأصل هذه النظرة القديمة ،

و أحل محلها الاعتقاد بأن المسئول عن ذلك هو الطريق غير الشريف التي يسلكها الاغنياء للكسب . هذا التحول في الرأي هو الذي ايقظ إحساس الفقراء بالمرارة و بث فيهم الرغبة في الضرب والانتقام . فالفقير لم يعد يلوم الله تبارك وتعالى على هذا الحرمان الذي أصابه ولكنه أصبح يرى في هذا الحرمان يد الرأسمالي الآثمة التي تعمل على سلب كل فرصة و تحاول أن تدسه في الرغام .

المخترعات الآلية تزيد من ثروة الاغنياء أكثر مما تنفع الفقراء

إن مشكلة الأغنياء والفقراء قديمة كقدم تاريخ الجنس البشري و لكنها لم تكن ملحة كما هي الآن و لقد خدع فلاسفة و مفكروا الزمن الخالي انفسهم بالقول بانه كلما تقدم الجنس البشري و تأصلت فيه المدنية فان الامور ستميل الى تحسين حال الفقراء . وقد حلقت هذه الآمال على فجر المخترعات الميكانيكية ، و لكن هذا الامل لم يتحقق . إذ ان هذه الآلات زادت قليلا من دخل الفقير و لكنها نسبيا زادت كثيراً من دخل الغني و بذا ازدادت حدة التباين بين الغني و الفقير .

الجهود التي تبذل لتحسين حال الفقراء

يجب ألا نؤخذ من كل هذا أنه لم تبذل أية جهود لتحسين حال الفقراء ، فمن آن لآخر كان يظهر رجل محب للانسانية أو فيلسوف أو زعيم خير أو ملك طيب القلب . و لم تخل الدنيا في أي وقت من أمثال هؤلاء . الناس الذين يرون لحال الفقراء و يشعرون برغبة ملحة الى إسداء شيء اليهم ، ولكن الداء كان شاملا ومتأصلا بحيث لا يمكن لحركات الاصلاح الفردية المنعزلة المحدودة أن تنتج أثراً دائماً ذا قيمة ، فعلى الرغم من كل هذا ظلت حياة الغني سلسة من الترف و المتاع و الراحة . أما بالنسبة للفقير فلا زالت الحياة من المهد الى اللحد طريقا طويلا من البؤس ، فكل يوم يموت آلاف الفقراء من الجوع أو من سوء التغذية ، بينما تفيض من موائد الاغنياء أطيب الطعوم بكميات كبيرة و تقدم الى كلابهم . إن قسوة هذه الحالة ترجع الى أن الغني ليس بمقدوره أن يصلح بسرعة هذا الخطأ حتى ولو كانت عنده الرغبة في ذلك . فعند ما يتناول الغني طعامه في قصره يندر أن يدري أن هناك يمنأى عنه في شعاب الجبال الثلجية أرملة فقيرة يموت ابنها الوحيد من الجوع . فالمليونير

في كلكتا أو دلهي أو لندن أو باريس أو نيويورك تعاكسه ظروفه وحوله دون مد يد المساعدة الى الفقراء . إن معيشته بعيدة كل البعد عن دنيا الفقراء حتى أنه لا يعلم شيئا عن حاجاتهم و مسراتهم وأحزانهم ، والرجل الغني لا يدري غالبا أن هناك انسان فقير مع جدار بيته و بالأحرى لا يمكنه أن يعلم بوجود الفقراء الذين يعيشون بعيداً منه ! وإذا كان يجهل وجود الفقراء فكيف يمكن أن يمد يد المساعدة اليهم ؟ .

وإذا انتاب المرض غنيا فانه ينال أحسن العلاج الطبي ، فيقوم المختصون في فن التمريض على العناية به ، و تقدم جميع تجارب الأطباء و الجراحين في فن الصيدلة أو الجراحة لتكون في خدمته ، و هو بمقدوره أن يدعو الطبيب بعد الطبيب و يشتري الدواء بعد الدواء مهما كانت التكاليف ، لا عند ما يكون مريضا فحسب بل و حتى عند ما يتوهم أنه مريض . أما في الجانب الآخر من الصورة فاننا نجد أن أرملة فقيرة وقد مرض طفلها الوحيد فتنتقل من باب الى باب تستجدي دريهمات معدودة كي تشتري جرعة من دواء محلي (وصفة بلدية) رخيص لهذه الحشرة البائسة أو لتعدّ لها قدحا من حساء مغذي ، ولكن آلامها هذه لا تقابل إلا بالطرد و اللعنات إلى أن يموت هذا الشيء المرتعش القابل بين ذراعيها و تظلم الدنيا في عينيها الى الأبد . إن ما قلته ليس بخيال أو مبالغة إذ لو دققتم النظر فستعثرون على أمثال هذه الحالة في قريتكم أو في بلدكم . وإن ما توضحه هذه الحالات من ألم الفقراء وشقاءهم وعجزهم لما يتعذر سبر غوره كما أن له أثره العنيف على من مروا بمثل تلك التجارب القاسية بحيث لا يمكنهم أن ينسوه أبداً .

حالة الفقراء التي يرثى لها

زارتني ذات مرة عجوز فقيرة بدأت حديثها بمقدمة طويلة وفي مذلة وقالت إنها أتت إلي بحدوها الأمل العظيم ثم أخذت ترجوني مرة بعد اخرى ألا أردها كسيرة الخاطر ، فسألتها عما يمكن أن أفعله من أجلها و وعدتها بأني لأفعلنّ كل ما هو بمقدوري ، ولكنها بدلا من أن تخبرني بحاجتها عادت تضرب على نفس الوتر و ترجو ان لا اخيب رجاءها وأني لو رددتها فليس لها ملجأ سواي ، وإن المسألة على أعظم جانب من الأهمية . . . وهكذا فبدا لي أنه ربما كان لهذا المخلوق الباعث ابن أو بنت على وشك الزواج وليس لديها المال الكافي لسد النفقات الضرورية وإنها بحاجة الى خمسين « روبية » مثلا (حوالي اربعة جنيهات)

فحثتها على أن تخبرني بما تطلب و مهدت لها سبيل القول ، ولكنها تراجعت خجلا دون أن تتفوه بحاجتها وكأنما ضخامة الطلب جعلتها تتردد . وأخيراً عندما أنبأتني بحاجتها شعرت بفزع شلّ ذهني إذ انها لا تريد سوى ثماني آنات! (عملة هندية توازي أربعة قروش تقريبا . مترجم) لقد كان أثر هذا الحادث ألما وعميقا في ذهني . فالمبلغ الذي تريده تافه ضئيل والتردد في طلبه يعني إذاً أحد امرين : فاما ان هذه الدريهمات تعد في نظرها ثروة عظيمة حتى ليخيل اليها أنه ما من أحد على استعداد لأن يهبها هذا المبلغ ، وإما ان التجارب التي اكتسبتها من مخالطة الناس جعلتها تيأس من وجود أي انسان يقدر على هذه الأريحية وطيبة القلب إن هذه الفكرة هزت كل جارحة من كياني هزاً عنيفا .

إن حالة هذه العجوز الفقيرة من الناحية الاقتصادية والنفسية لتعدّ نموذجا لملايين وملايين الفقراء المنتشرين في انحاء العالم . وهذا هو مبلغ تقديرهم لشعور بني جنسهم و مدى سخاء الأغنياء على البشر الذين يقلون عنهم حظا . فاذا كانت هذه هي آلام الفقراء و إذا كانت تجربتهم لهؤلاء الاغنياء الذين يروهم غارقين في الترف قد دلتهم على انهم جامدوا الشعور ، فكيف يمكن للفقراء إذن أن يقاوموا الرغبة الغشوم الى التحطيم و الهدم يجنون في هذا العالم الذي يضم أمثال هذه المخلوقات التي لا قلب لها .

بعض الحركات التي قامت من أجل الفقراء

الديموقراطية

إن هذه الحالة المزعجة ليست تصوراً جديداً بل هي داء قديم ، و كما أوضحت سابقاً أن بذلت جهود عديدة لعلاجه ، ولكن لسوء الحظ لم تسفر هذه الجهود عن أية نتيجة بعد . ففي القرن الثامن عشر صار هذا الموضوع مشكلة تثير اهتمام الاوساط العلمية و أطلق لفظ « الديموقراطية » على موجة الوعي السياسي الذي أخذ يتنبه . و التطلع الى الديموقراطية (أي المطالبة باعطاء العامة الحق العادل في الاشتراك في الحكم) بعد بطبيعة الحال اعترافا جوهريا بأن المشكلة أعظم من أن تحلها هيئات فردية وانه يتعذر تحسين حال المجموع الفقراء إلا إذا أُشركَ العامة انفسهم في حمل عبء تسيير دفة الحكم في الدولة كي يمكنهم أن يرعوا مصالحهم الخاصة . فالرجل الذي يعيش في بلدة كبيرة ليست لديه الوسائل الدقيقة لتعرف

عدد عناوين اولئك المحتاجين المقيمين في بلدته فما بالك المنتشرين في أرجاء الدولة . أما حكومة الدولة فيسهل عليها أن تحتفظ بمثل هذه الاحصائيات . وهكذا كانت ترى هذه الحركة أنه لمصلحة الفقراء يجب أن تلقى على عاتق الحكومة مسئولية رعايتهم وأن يكون للفرد العادي صوت مسموع في المجالس الحكومية .

نقابات العمال

في مبدأ الأمر كان الاشخاص الذين يختارون لتمثيل وجهة نظر الفرد العادي كان هؤلاء الاشخاص يأتون غالبا من بين الطبقة التي لها علاقة بالاراضي . وهذه هي الطبقة التي كانت اكثر استفادة في أول الامر من هذا التغير . وقد أدى ذلك الى نمو الوعي السياسي في طبقة اخرى من طبقات العامة وهي طبقة العمال اليدويين وأرباب الحرف ، فتجمعت فيما يسمى بنقابات العمال كي ترعى مصالحها المشتركة ، و تسمى الحركة التي جعلت هذا التطور أو النمو أمراً ممكنا بحركة التحرر (LIBERALISM) .

الاشتراكية والاشتراكية العالمية

والخطوة الثالثة كانت نمو الوعي السياسي في الطبقة التي تعرف بالبروليتاريا (PROLETARIAT) وهم ملايين العمال المهرة الذين يشتغلون في الورش والمصانع وفي الاراضي وصغار الكتبة الذين يشتغلون في المكاتب . وقد جاء هذا التغيير كنتيجة طبيعية لنهوض أصحاب الاراضي واتحادات العمال . وكان ذلك أول تجربة سياسية تعرف بالاشتراكية

ولكن سرعان ما تبين أن هذه المحاولات التي تهدف الى جعل الحياة — حياة الفقراء — أسعد و أرحب لم تكن ذات معايير متكافئة ، فالفقر ليس بمحصور في فرنسا أو في المانيا أو في انجلترا أو في الشرق أو في الغرب ولكنه بعم العالم ، ولذا يجب ايجاد نظام عام عالمي ليواجهه ، فنشأت الاشتراكية العالمية كنتيجة للحاجة الى اتحاد الفقراء بكل مكان في شكل إخاء سياسي يحارب من أجل حقوقه في وقت واحد و في كل مكان . وهناك عامل آخر ساعد على هذا النمو ، وهو أنه قد اتضح أن الرأسمالي في انجلترا مثلا كان يساعد الرأسمالي في فرنسا على كبت الفقير وإبقاءه على حاله ، ومن ثم كان على الفقراء ايضا أن يعقدوا العزم على الارتباط مع بعضهم البعض في شكل نظام عالمي .

مبادئ الفلسفة الماركسية

« كارل ماركس » فيلسوف ألماني من أصل يهودي إلا أنه يدين بالديانة المسيحية وقد فكر هذا الرجل جديا في المشاكل التي تدور حول رأس المال و العمل ، و قد حدا به ما رآه من بطء تقدم الاصلاح الى الخروج بنتيجة هي أن عض الرأسماليين على إعطاء العمال نصيبا عادلا ليس بالطريق المجدي إذ قد يستغرق ذلك قرونا عديدة . و في رأيه أن الصعوبة الحقيقية هي أن اولئك القابضين على أزمة الحكم لا يميلون الى الاهتمام بهذه المسألة و انهم يضيعون الوقت عبثا . و من ثم بدأ يدعو الى إحداث انقلاب بالقوة ، ناصحا طبقة العمال (البروليتاريا) أن يهبوا ككتلة واحدة و يقبضوا على أزمة الحكم باستعمال القوة وحدها بل القسوة إذا احتاج الأمر .

و ليست الماركسية سوى اشتراكية عالمية تنادي باستعمال القوة للحصول على التغيير الاقتصادي في بناء المجتمع و تنصح بالاستيلاء على السلطة السياسية كي يمكن القيام بالاصلاح الاقتصادي

و الوجه الآخر البارز في هذه المبادئ هو أنه من الخطأ أن تأمل طبقة العمال في إحداث أي تغيير عن طريق التعاون مع الرأسماليين لأن الرأسمالي يحب مكاسبه التي حصل عليها بطريق غير عادل وهو قد تعود عليها لدرجة أن أصبح من المستحيل عليه ان ينزل بسهولة و بمحض ارادته عن جانب من نفوذه الذي ناله بواسطة هذه الارباح غير الشريفة . فالماركسية تقضي بطرح الرأسمالي جانبا بالقوة ، و تحكم باحتقاره و سحقه في الرغام لانه ظل يحتقر و يسحق الفقراء أمداً طويلا .

و يرى « كارل ماركس » أن اتحادات العمال و أصحاب الملكيات الصغيرة قد بزوا طبقة العمال في مضمار التسابق الى نيل السلطان السياسي ، إذ ان هذه الطبقة قد طال عليها العهد في الجبن لدرجة أن أصبحت عاجزة عن حيازة مقاليد الحكم بحزم حتى ولو وضعت بين أيديها ، ومن الممكن غشهم وخداعهم بحيلة ماهرة فيردوا السلطة ثانية الى مضطهديهم فالى أن تتعلم طبقة العمال (بروليتاريا) التعليم الواجب و تدعم يجب ألا يسمح لها بممارسة الحكم بطريق مباشر بل يجب أولا أن يكون لها دكتاتور (*) قوي ماهر كي يواجه خدع الرأسماليين .

(*) ان ما سماه كارل ماركس دكتاتورية العمال صار عمليا دكتاتورية فردية (دكتاتورية « لينين » و « ستالين ») . منه

ولما يتوطد مركزها تماماً فعندئذ فقط يجب دفع مقاليد السلطة بين ايديها لتمارسها بطريق مباشر

و بهذه المناسبة يروى أنه كان هناك خادم غير راض عن الاجر الذي يتقاضاه من سيده و لم يكن قادراً على استجماع شجاعته و طلب المزيد ، و أخيراً دفعه الفزع و العوز الى المحنة : فعند ما رجع سيده من نزهته الصباحية تقدم اليه بجرأة وثبات وقال له « يستحيل على يا سيدي أن أوفق بالاجر الذى أتقاضاه هنا بين طرفي نقيض ، و لم أعد احتمل هذا الموقف بعد ، فاما أن ترفع من اجري و إما . . » و هنا قاطعه السيد بنظرة حادة و رفع سوطه قائلا « و إما ماذا انت فاعل ؟ » فارتعدت فرائص الخادم خوفا و أجاب بمسكنة « و إما سأستمر كالعادة على العمل كما كنت من قبل بنفس الاجر » .

و اننا لنخرج من هذه القصة بنقطة : وهي ان البقاء فى ظل العبودية قرونا عديدة يميت فى الانسان احترام النفس و الثقة بها . و إن حالة المنبوذين فى الهند لتوضح هذه النقطة ايضاحا جليا ، فانت عند ما تخاطب « شمار » أو « شوهرا » (١) محاولا أن توقد فيها جذوة احترام النفس و تبث فيها بعض الثقة والامل فى المستقبل فان الجواب الذي تلقاه دائما هو ابتسامة محيرة تدلك بلطف على أنك ربما تكون قد جاوزت الحد با لتحدث في مثل هذه الامور ، فيقولون « إن الله تعالى جعلنا هكذا فكيف نرجوا أن يتغير نصيبنا » و هم يسوقون جوابهم بدعة و استسلام بحيث لا تجد مندوحة عن ترك الموضوع .

ان هذا التبلد الذهني وفقدان الثقة والامل والجبن الاخرق هو الذي جعل كارل ماركس يخرج بنتيجة هي أن الفقراء بسبب مرور قرون عديدة عليهم و هم مضطهدين قد جعلهم في حالة لا تسمح لهم باسترداد حقهم في السلطة فلذا يجب ان يكون لهم في فترة الانتقال دكتاتور قوي كفو يربيهم و يغرس في نفوسهم الاعتماد على النفس والقوة على مقاومة الاضطهاد فاذا ما تم ذلك يجب عندئذ ان توضع السلطة بأكملها في ايدي طبقة العمال .

لينن وأصحابه

مات كارل ماركس عام ١٨٨٣ ولكن جذور آراءه تأصلت في روسيا حيث كان الفقراء تحت ظل النظام القيصرى في حالة لا يمكن وصفها ، فهناك قامت جماعة من الشجعان المتهورين واخذت على عاتقها تنظيم طبقة العمال سراً ، و كان « لسينن » احد اعضاء هذه

(١) طبقتان من منبوذى الهند . المعرب .

الجماعة ، ثم سيطر على الجماعة كلها فيما بعد . وقد طبقت هذه الجماعة نظريات كارل ماركس عمليا والهبت أفكار الجماهير فكان من نتيجة هذه الدعاية القوية التي قامت بها هذه الشراذم المتسترة أن انتشرت تحت سطح الاحوال الظاهرية موجة من الغضب المرير اللاذع أدت عام ١٩١٧ الى القضاء على النظام القائم و الى دفع نظام نظام دكتاتورية العمال موضع التجربة لأول مرة في التاريخ .

و لكن قبل هذا حدث ـ عند ما أحس قادة الثورة بدنو موعد التصدع ـ أن عقد هؤلاء القادة اجتماعا لتقرر فيه خطة السير التي يجب اتباعها عند ما تاقى اليهم مقاليد الحكم و قد دلت الآراء التي أبديت أن هناك انشقاق بينهم ، إذ انقسمت الجماعة الى قسمين : فريق المنسفيك (MEN SCHIVIC S) و فريق البلشفيك (BOLSHEVIKS) و هو الاغلبية و تزعمه « لينن » .

الخلاف بين لينن و مارتوف

كان لينن ظاهر الميل الى الاخذ بالتعاليم الماركسية بشكل جامد ، وكان شعاره عدم خلط الفريق الثائر بأية عناصر اخرى أقل حرارة . و من جهة اخرى كان « مارتوف » يرى وجوب التعاون مع جميع اولئك الذين يبغون التغيير . و يظهر أن لينن كان يرى أن العناصر الغير الثابتة الضعيفة العزم المترددة ليس من ورائها سوى اخماد نار الثورة والاخذ بالمشروع كله الى حيث يوءد تحت التراب . لهذا أراد لينن للحزب أن يعمل منفرداً و أن يتقدم بجرأة الى النهاية المنطقية دون احجام .

هناك ايضاح نقطة ثانية وهي أن لينن كان لفرط اخلاصه للمبادئ الماركسية يدافع عن فكرة قيام الدكتاتورية في اول مراحل حكم طبقة العمال ، بينما كان مارتوف يؤيد الرأى القائل بوجوب وضع السلطة بأكملها في أيدي الشعب منذ اللحظة الاولى . و يبدو ان مارتوف أحس بأنه إذا أدى الأمر الى قيام دكتاتور فان لينن هو الشخص الذى ينتظر انتخابه و ليس هو ، ومن المحتمل جداً أن يكون هذا الاعتبار ذا أثر في تكوين وجهة نظره .

و الامر الثالث هو أن مارتوف كان يرى طبقا للتعاليم الاشتراكية أن تلغى في النظام الجديد العقوبة الخاصة برأس المال ، أما لينن فكان يعارض هذا الرأى بشدة مستنداً الى أن الحاجة الملحة في هذا الظرف تتطلب ذلك و لو أنه يشارك مارتوف الرأى

نظريا. وكان دفاع لينين عن رأيه قائما على أنه إذا الغي العقاب عن رؤوس الاموال فيستحيل إذاً شنق الفيصر المعزول في حين الابقاء على حياته يكون مبعث خطر دائم على الحريات التي اكتسبت حديثا.

انحازت غالبية الاصوات الى جانب لينين و تسنم البلاشفة السلطة، فكان على أقلية الثوار في الدولة أن تخضع لتلك السلطة أو تخمد انفاسها بيد من حديد.

المبادئ البلشفية ونتائجها

يجب أن لا يعزب عن البال أن المطلب القائم من وراء الثورة الروسية هو سد حاجات الفقراء والقضاء على متاعبهم، ومعنى هذا المطلب هو أن لهم حقوقا متساوية في المسكن اللائق والملبس اللازم والطعام الكافي والتعليم المناسب والرعاية الطبية الواجبة أثناء المرض.

اولا — لكي يتمكن البلاشفة من مواجهة حاجات الفقراء قرروا أن يأخذوا من كل شخص ما يتناسب و قدرته على الدفع، فمثلا إذا كان لدى شخص ما عشرة أفدنة و كان لدى آخر مائة، فان التعاليم البلشفية تقضي بأن يعطى كل مزارع وعائلته من نتاج الارض ما يكفيه و يسد تكاليف الارض، أما الفائض في كلتا الحالتين — قل أو كثر بسبب الصناعة و تطبيقها أو بسبب الصدفة المجردة — فانه يكون ملكا للحكومة.

ثانيا — تقرر أن يعطى للقدر المناسب لمن ليس في حوزتهم ما يكفيهم.

ثالثا — قرر البلاشفة تطبيق الاشراف على تحديد أماكن الصناعة و انواع الزراعات. فزرع القمح في تربة لا تناسب هذا المحصول يعد خسارة قومية و كذا من الخطأ أن يزرع القطن مثلا في أراض لا تصلح لها أي ان النظام البولشفيكي أخذ على عاتقه مهمة إرشاد الفلاح الى ما يزرع و اين يزرع.

رابعا — لم يعمل أي حساب للمجهود الذهني الخالص، إذ تقرر انه يجب على كل من يشتغل بعمل فكري أن يقوم ايضا بعمل يدوي كي يكسب قوته و إلا ترك ليموت جوعا.

خامسا — اعتبرت الوسائل الهجومية خير طريقة للدفاع، و بعبارة اخرى تقرر محاربة الرأسمالية واستغلالها الفقراء في جميع انحاء العالم كي يمكن المحافظة على النتائج التي وصلت اليها الثورة الروسية.

و وضع هذه المبادي موضع التنفيذ كان معناه أن تصادر الدولة الاملاك الشخصية بجميع انواعها، وفضلا عن ذلك فقد اتخذت التدابير الفعالة للقضاء على الجوع و العوز في بيئة

العمال اليدويين . أما القسوس و من على شاكلتهم ممن يعيشون مترفين على غلة الارض فقد خيروا بين العمل اليدوي أو الموت جوعا .

ان المبادئ الاساسية في الشيوعية الروسية هي امتلاك الدولة لوسائل الانتاج وخلق نظام معيشة لا طبقات فيه يهدف الى ضمان احوال للعيش ذات مستوى محترم للجميع كما ترمي هذه المبادئ ايضا الى العمل المستمر على اشعال نار الثورة في العالم اجمع لتحقيق أغراضها. حقا ان في هذه المبادئ ما يقبله العقل الى حد ما . وان ما فيها من شعور بالمسئولية الخلقية نحو صالح الفقراء يجعلها تفوق بكثير النظام الرأسمالي الذي لا يبدي أية شفقة بالفقراء الذين يشتغلون في ظله ولا يهتم لمتاعبهم إلا أن نظام المزارع الجماعية (Collective Farming) الذي تشرف عليه الدولة يحرم الفلاحين من حرية التصرف الفردي و يعرضهم لكثير من المتاعب هذا وقد قامت الشيوعية من بادئ ذي بدء بمناهضة الدين والوقوف في سبيله ، واحتقار رجال الكنيسة ليعد احدى صور هذه المناهضة . وفضلا عن ذلك فان هذه المناهضة قد اتخذت وجها آخر اكثر هدوءاً إلا أنه كان أبعد أثراً في نتائجه : فقد قرر الشيوعيون إعطاء الحرية الكاملة للفرد فيما يتعلق بمسائل و حرموا على الآباء و المعلمين تلقين النشء في طور النمو كل ما من شأنه أن يكون ذا تأثير ديني عليهم كي يكون حكمهم و اختيارهم عند ما يكبرون مطلق الحرية لا يعرقله شيء ، و يخيل للانسان لاول وهلة أن هذه الفكرة معقولة وعادلة ولكنها في الواقع تنطوي على مغالطة عظيمة ، إذ ان إبعاد الطفل في دور النمو عن التأثير الديني لا يطبع في ذهنه إلا الالحاد ، فعند ما يكبر الطفل يكون حكمه في أمر الدين غير نزيه بل و يكون متطرفا في المحاباة لأن صفحة ذهنه لم تترك بيضاء و لكنها قد طبعت بطابع الالحاد .

و لكي يحقق البلاشفة هدفهم من قيام ثورة في العالم أجمع لم يضيعوا الوقت عبثاً بل بادروا الى ارسال الرسل خارج بلادهم لينشروا تعاليمهم . و قد نشطت دعايتهم في كثير من البلاد كالمانيا وايطاليا والنمسا وهنغاريا وفرنسا و اليابان ، و يعرف البلاشفة خارج روسيا بالشيوعيين . و إنا لنجد لهم أتباعا في مقاطعة البنجاب ايضا و في مقاطعات الهند الاخرى . و ترمي الحركة في مظهرها العام الذي تقدم به الى ضمان العيش لكل فرد طبقا لحاجاته ورفع الفوارق من بين الطبقات ، ولذا امتد نفوذها بسرعة في جميع أرجاء العالم بمثل ما تسري النار في الهشيم ، و كان لها رد فعل أدى الى قيام حركات سياسية متطرفة في المانيا و أسبانيا وايطاليا و اليابان .

قيام الفاشية

إن الفكرة الأساسية في فلسفة السياسة الشيوعية هي « الدولية » مع تحقيق احوال معيشة متساوية للجميع . و هي فلسفة تناقض تماما فكرة الاستقلال الاستعماري التي تملأ قلوب المانيا و أسبانيا و ايطاليا و اليابان . فهذه الدول ظلت تنتظر بفارغ الصبر افول نجم الامبراطوريتين الفرنسية و البريطانية و تفككهما بمرور الزمن . و ها هي ذى الفرصة قد اقتربت و أصبحت على قيد خطوات معدودات ، و لكن ظهور هؤلاء الزعماء الشعبيين في هذا الوقت بتعاليمهم التي تدعو الى مساوات الجميع في الحقوق وإعطاء الجميع انصبة متساوية من الثروة التي وُضعت تحت تصرف الجنس البشري معناه افساد الخطة على هذه الدول و على قادتها الوطنيين ، فكان من الطبيعي اذاً ألا تحوز الشيوعية رضاء هؤلاء القادة في تلك الدول التي تودى فيها بالصبر على الحرمان أملا في الحصول على انصبة وفيرة من الغنيمة العامة . فحزب « هتلر » النازي في المانيا وحزب « موسوليني » الفاشي في ايطاليا وحزب « الفلانج » التابع لـ « فرانكو » في أسبانيا كل هذه الاحزاب كانت مظهراً لتلك الأهداف الوطنية الضيقة التي تسودها الاثرة ، تلك الاهداف التي نبتت في أعقاب حرب عالمية انتهت بسلام غير متوازن .

إن هذه الحركات الثلاث (١) تشترك في غرض واحد هو المعارضة العنيفة للشيوعية لانها بدعوتها العامة القوية كانت تنذر بالقضاء على جميع تلك الآمال والاطماع ، إذ أن الطبقات الفقيرة كانت تنظر الى الشيوعية بعين الرضا لانها تعد برعايتهم و تدبير امر سكنهم وغذائهم وكسوتهم و مدهم بالرعاية الطبية عند المرض فكانت خدمة هذا الطبل البعيد تبدو للكثيرين شيئا قويا . و قد استهوت هذه الفلسفة السياسية الكثيرين في الهند و يظهر أنهم يظنون أن موظفي الحكومة في روسيا يطوفون على الفقراء ليوزعوا عليهم الخبز و الملابس وكل ما يحتاج اليه الفقير ، و يبدو ايضا ان هؤلاء الناس لا يدركون أن الشيوعية لا تعد بانجاز كل هذه الاشياء إلا عند السماح لها بتحطيم النظام القائم بأكمله و أن الفائض في كل حالة سيكون عندئذ ملكا للدولة .

لقد دأت الجماهير في المانيا و ايطاليا ايضا ترحب بالشيوعية ، و لكي يحول هتلر و موسوليني اتجاه التيار قالا : أن النازية و الفاشية ستطبقان هما ايضا نظام السيطرة على الثروة

(١) النازية و الفاشيست و الفلانج .

و الصناعة و التجارة و أنهما ستحققان من أن الطبقات الفقيرة تأخذ نصيبها العادل من ثمرة العمل ، لكن الفلسفة الفاشية ما كانت تنظر بعين الرضا الى حق العمال فى الاضراب ، لأن الخسارة التى تلحقها هذه الاضرابات بالمصالح القومية مما لا يمكن اصلاحه في أغلب الأحوال و القاعدة التي تبنى عليها النظريات الفاشية هي التمجيد و التعظيم القومي بواسطة رقابة صارمة فى الداخل و فتوحات استعمارية فى الخارج . وهذا التمجيد القومي يجعل نظرة الانسان الى ابناء جلدته « كشعب ممتاز » أمراً طبيعيا سهلا . لقد أصبح الالمان « ابناء السماء » و لكن تمجيد (هتلر) لفضائل الدم « الآري » لم يكن سوى سير في أثر « الباندیت دیا نند (١) » هذا و إن مبعث عداء هتلر لليهود هو خوفه من روسيا السوفياتية حيث يتمتع اليهود بنفوذ كبير ، وقد أرادت المانيا النازية أن تتخلص من اليهود ظنا منها أن هذا إجراء لازم لسلامتها و أنه تصرف عمل لتلافي خطر طعنة من الخلف يوجهها طابور خامس يحتمل ظهوره .

ان الحاجة الى سيطرة حازمة فى الداخل و هى مبدأ مقرر فى الفلسفة الفاشية قد أدت ايضا الى نشوء الرغبة في طرد كل نفوذ اجنبي من الدولة . وقد أخذ شعور النازية نحو المسيحية يتجهم كما تجهم من قبل لليهود حتى أن قادة الالمان البارزين أمثال الجنرال لودندورف أخذ يتجه تفكيرهم نحو احياء الشعائر الوثنية التي كانت شائعة قبلما يعتنق هذا الشعب المحب للحرب المسيحية . أما « مسوليني » فقد حاول هو ايضا مستتراً تحت هذا الرداء أو ذاك أن يكبح جماح نفوذ «الفاتيكان» لأن البابوية تعد ايضا عنصراً أجنبيا فى نظر الدولة الايطالية الفاشية

ومجمل القول هو أن هناك ثلاث حركات قائمة فى العالم في عصرنا هذا ، تنادي كل منها بأنها تعمل على إزالة الفقر ورفع المتاعب : فهناك الاشتراكية التى تمثلها بعض الدول العظمى كانجلترا و فرنسا والولايات المتحدة ، و يبدو أنها (الاشتراكية) تسير ببطء وتدريجا نحو إعطاء الفقراء حقوقهم و منحهم نفوذاً في شؤون الحكم ، و تعدُّ هذه الحركة قديمة جداً بالاضافة الى الحركتين الآخرتين ، و من ثم كان لديها الوقت الكافي لاظهار بعض النتائج للعيان ، فالفقراء في تلك الدول يتمتعون بمستو من المعيشة لا عهد للهنود به حتى الاغنياء نسبيا .

---

(١) زعيم الطائفة المتجددة من الهندوس المسماة بـ « آريا سماج » . ولد و عاش في القرن التاسع عشر الميلادي ، زعم أن الهندوس هم شعب الله المختار منذ الازل و الى الابد و الآخرون كلهم أقل منهم شأنا و مرتبة وخلقوا لخدمتهم و عبوديتهم ، و كتابهم (ويد) هو الكتاب الوحيد المنزل من الله منذ بدء الخليقة و كل ما عداه من الكتب فهو كذب و افتراء . المعرب

و قد تم بلوغ ذلك بفضل توجيه بعض العناية الخاصة الى حاجات الفقراء ، و من جهة اخرى فان الفضل في ذلك يرجع ايضا الى رفع مستوى معيشة الشعب في مجموعه عن طريق التجارة الخارجية و اصلاح مساحات الاراضي المهملة في الخارج و استثمارها .

و لكن هذه الحركة لها ضرر بليغ واحد : و هو أن عطفها قاصر في الواقع على فقراء هذه الدول فقط ، فهي تحاول أن تعطي الشعوب الخاضعة لها تأثيراً حسنا ولكنها ليست مستعدة الى طرح القوى التي تملكها الدول المنتمية الى هذه الحركة و التي تتفوق بها على الشعوب المغلوبة أي انهم مستعدون لاطعام الشعوب المستعبدة كما يطعم الانسان حصانا أو بغلا كي يزداد قدرة على الجر أو الحمل ، لا أكثر ولا أقل . و المقاصد الخفية للاشتراكية في رأي هذه الدول العظمى التي تنادي بالاعطاء ليست سوى مقاصد قومية بحتة ، و ما مظهرها العالمي إلا تحوير مناسب كي تُبقي مجال الصيد خالصا لها و لتحولَ دون تدخل الغير ، أضف الى ذلك أن التقدم المادي يعد في نظرها هو كل شيء ، فهي قد أدارت ظهرها للدين و لجميع القيم الروحية التي بدونها يصبح الانسان أشبه شيء بالعجماوات . نعم ان هذه الدول لا تتحمس في الانتقاض على الدين و هي لا تتردد في استخدامه كلما وجدت منه أداة صالحة لاغراضها و لكنها في الواقع لا تعطف على الدين و لا تبغي له أي فائدة .

الشيوعية و عيوبها

و الحركة الثانية هي تلك التي امتد نفوذها في روسيا . و النقط الفلسفية الرئيسية في هذه الحركة هي : —

أولا — عدم الاعتراف بأن المجهود الفردي هو المعيار الوحيد لتقرير نصيب الفرد من ثمر الاعمال الاقتصادية .

ثانيا — تملك الدولة للثروة ولوسائل الانتاج بعدّ ضمانا لوضع مستو معين محترم لمعيشة العمال اليدويين وما فاض بعد ذلك من نتاج العمل فهو ملك للدولة في جميع الاحوال .

ثالثا — التضييق على المشتغلين بالاعمال الفكرية و رجال الدين و محوهم تدريجا لأنهم طفيليات في المجتمع .

رابعا — إقامة وسائل الانتاج على نمط لم يسبق له مثيل .

خامسا — ازالة التعليم الديني من محيط المدارس و الكليات .

سادسا — بث الدعاية في جميع انحاء العالم كي تصبح الحركة عالمية .

وهذه الحركة التي تعرف بالبلشفيه في روسيا و تعرف بالشيوعية في الخارج تقول بانها تدافع عن صالح الفقراء ولكنها في نفس الوقت ليست هي الاخرى بمستعدة ، لمدة طويلة ، أن تلقي بمقاليد السلطة الحقيقية في أيدي الجماهير .

و لهذه الحركة مساوئ عديدة خطيرة أهمها : —

أولا لا وزن للمجهود الفردي لأن النظام السوفيتي يستقطع من المجهود الفردى حقه في الربح الذي يزيد عن مستوى معين ، و هو مستوى يمكن على كل حال بلوغه دون حاجة الى بذل مجهود اضافي . و من الناحية النفسية فان هذا من شأنه أن يثبط الهمة و بالتالي يقلل القوة الانتاجية (Productive Potentiality) . و على ذلك إذا قدّر لهذا المذهب البلشفي أن يظل معمولا به لمدة طويلة فانه سيحرم الناس من إبداء الاهتمام الحقيقي بأعمالهم ، و من ثم ينحط تدريجا مستوى القوة الذهنية و المهارة الفنية .

ثانيا اتجاه هذه الحركة الى استعمال القوة و العنف قد فتح الباب على مصراعيه لسفك الدماء والاخلال بالأمن بشكل عام . فلو أن تنظيم الاحوال و ضبطها سار تدريجا لكان هذا انفع للغرض المنشود . أما إحداث التغيرات فجأة و بعنف في مستوى المعيشة الذي اعتاده الأغنياء فقد بذر بذوراً جديدة للاحقاد والعداوات ، إذ أن إنجاح أي تغيير يجب أن يتم في جو متجانس كما يجب أن تُهيأ له الظروف إذا كان الحال يتطلب ذلك . فالبستاني الماهر ينقل النبات في فصل معين من فصول السنة لأن حالة الحرارة و درجة الرطوبة تكون في الاوقات الاخرى غير ملائمة لانجاح هذه العملية ، ولكن الشيوعية عدا ما تعمل على إجراء هذه التغييرات تتجاهل هذا العامل الأولي فتكون النتيجة أنه كلما سنحت فرصة الهرب للنبلاء السابقين غادروا بلادهم وأقاموا فى الخارج حيث لا يعدمون الوسيلة للإضرار بمصالح الروسية السوفيتية . وهكذا حيكت كثير من المؤامرات الدولية فى هذا السبيل .

ثالثا فقد الشيوعيين بسبب مناهضتهم للدين عطف جميع اولئك الذين يعلقون و لو أهمية قليلة على التقدم الروحي للانسان .

رابعا أظهرت الشيوعية نفسها فى ثوب نظام يقوم على الدكتاتورية . وهكذا نجد أنه عند ما تنادي بأنها المدافعة عن حرية الجماهير تبدأ فى ذات الوقت بحرمانهم من أية حرية

و لقد انحدرت دكتاتورية طبقات العمال (البروليتاريا) حتى صارت دكتاتورية « لينن و ستالين » . و هي دكتاتورية ما لاح للابصار بعد مدى انتهاءها ، فلربما يأتي « مولوتوف » بعد ستالين ثم يليه شخص آخر وهكذا . . . ، فبجميع المقاصد والاغراض نجد أن الشيوعية تقدم للعالم مكتوفة الأيدي و الارجل برباط من السيطرة الغاشمة كي تجري عليها التجارب التي تتفق والأوهام السياسية لبعض الافراد أو الاحزاب .

خامسا إن مجمل ما آل الدولة التي تسير وفق المبادئ الشيوعية هو إقامة سدّ في طريق التقدم الفكري والعلمي ، لانه : أولا إذا ايقن الانسان أنه مهما حاول أن يكون كاتبا بارعا أو عالما نحريرا أو مهندسا بارزا فلن ينال اجرا أعلى من الحد الذي قُرّر للمجموع إذا تيقن من هذا فانه من الطبيعي أن يكف عن التطلع الى بلوغ هذه الدرجات ، إذ لا فائدة للكد والسهر إذا لم يكن هنك أمل في معيشة أفضل من تلك التي يعيشها راعي المواشي في القرية حيث لا يمتد فكره الى أبعد من محيط الخيل و البغال الذي يشتغل فيه . أضف الى ذلك أن التقدم الفكري والعملي يستلزم السفر الى الخارج كي يُلهب ذلك من قوة التصور و يُكسب الانسان آراءاً جديدة و وجهات نظر لا عهد له بها ، و لا يمكن درك هذه الغاية بارسال أفراد قلائل الى الخارج بعد استعمال طرق « السوط الاحمر » في اختيارهم . إن الامر يتطلب إذكاء الرغبة في السفر و التجول بشكل عام ، و لا يمكن تنمية هذه الرغبة أو إشباعها بشكل مرض في شعب لا توجد فيه طبقة لديها أي وقت من الفراغ . إن المواهب البشرية ليست قاصرة على بلد مخصوص أو على شعب معين و لكنها موزعة في جميع أرجاء العالم : فمثلا الشعوب البيضاء يتميز بالتفوق العلمي و لا يوجد مثيل لمهارتها الفنية ، ومع ذلك فقد عجزت آلاتها الدقيقة الخاصة بالنسيج عن انتاج حرائر « دهاكه » التي كان ينسجها الصناع الهنود الى عهد قريب بأيديهم . و على الرغم من تقدم الابحاث الكيماوية فان فن التحنيط الذي كان شائعا لدى قدماء المصريين لا يزال سره خافيا على الاوربيين و الامريكيين . و يقال انه كان يوجد في قلعة (المقول) بـ « دلهي » حمام مبني بشكل خاص بحيث يمكن تسخينه بواسطة لهب عادي (ضئيل) ينبعث من مصباح زيتي واحد ، و لما استولى البريطانيون على القلعة نزع ضابط فضولي الحمام من موضعه محاولا دون جدوى أن يحل لغز هذه المهارة الهندسية ، و لكن ما أن انزل الحمام حتى استحالت إعادته على ما كان عليه مرة ثانية .

والحاصل أن العقول المختلفة والشعوب المتعددة تتنوع فيها القدرة على مختلف نواحي النشاط والتقدم ، والاحتكاك الدائم بينها يؤدي الى ما فيه خير الجنس البشري كمجموعة واحدة وكوحدات مختلفة ، وهذا هو أحد الأسباب التي حدت بالقرآن المجيد الى توكيد الاهتمام في تعاليمه بأمر الضرب فى الارض كلما اتيحت للانسان الوسائل اللازمة له .

ويجب أن لا يغرب عن البال أن المؤظفين الذين تعينهم الدولة في مفوضياتها وقنصلياتها فى الخارج لا يمكنهم أن يغنوا عن الحاجة الى السفر الى الخارج لانه ليس بمقدورهم الحصول على النتيجة المرجوة لأنهم أشخاص قد وضعوا في قالب معين فتقيدت وتحددت قوة بصرهم ، ولا سبيل الى سد هذه الحاجة بصورة مرضية إلا إذا اتيح السفر لرجال القانون وللاطباء والمهندسين والعلماء ورجال الجيش والبحرية والمصورين والشعراء فيغدون ويروحون ويتنقل كل واحد منهم وفق ما تمليه عليه طبيعته ثم يعود بنصيبه من الفائدة التي تنفع الوطن .

سادسا وهنالك عيب آخر للشيوعية وهو : انها فى محاولتها البطش بالطبقات العليا والقضاء عليها انما هي تحرم الدولة من خدمات جزء كبير من القوة الانتاجية فى الشعب وتسبب قيام عداوة عنيفة متبادلة يبتغي منها كل فريق امتصاص دم الفريق الآخر .

سابعا والعيب الأخير — وهو أسوأ ما فى الشيوعية — هو أن انهيارها يكون خطيراً وبسبب كارثة لم يسبق لها مثيل : ففي النظم الاخرى اذا مات ملك تقدم آخر مكانه وإذا حُلَّ برلمان قصر عان ما ؤلف برلمان آخر ليحل محله أما إذا قدر للشيوعية أن تسقط فعلى كل حال ليس هنالك حل وسط بينها وبين الرجوع الى حكم استبدادي يكون اكثر اطلاقا من « الأوتوقراطية » القيصرية ، لأنه لا وجود فى الشيوعية نظام أو أوضاع لحكومة نيابية . وهذا هو نفس ما حدث عقب الثورة الفرنسية عند ما قام العامة بحركة انتهت بقيام حكم (نابليون) الاستبدادي لأنه لم يكن من بين اولئك الذين رفعوا أصواتهم عاليا من أجل المساواة في الحقوق شخص واحد لديه القدرة الكافية للسيطرة على هذه القوى العنيفة التي انفلت زمامها .

عيوب الاشتراكية الوطنية

والحركة الثانية : هي تلك التي نبتت جذورها في المانيا وايطاليا وتعرف بالاشتراكية

الوطنية ، وهي تهدف الى إعطاء الفقراء حقوقهم ولا تعمل على سحق الكفاية الفردية الممتازة بأن تتجاهلها تجاهلا تاما ، بل إن الاشتراكيين الوطنيين يحرصون على رعاية مثل هذه الكفايات إلا أن تمسكهم المقيت بأفكارهم فيما يتعلق بنظرية « الجنس الأعلى (Super - Race) » قد أعمى ابصارهم عن إدراك مزايا الشعوب الاخرى ، و من ثم فان كفاحهم يرمي الى رفع البؤس عن فقراء بلادهم فقط وإفقار الفقراء من الشعوب الاخرى كي يتسع المجال أمام « شعب السماء » فيخرج أحسن ما لديه ، وقد انضم اليابانيون الى هذه الزمرة قبل نشوب الحرب بقليل

(١) إن أول عيب بارز في هذه الحركة هو تشيعها لبعض الشعوب الى حد الاضرار بمصالح الشعوب الاخرى : فما دام الالمان يعيشون و يربحون فإن هتلر لا يهمه بؤس بقية العالم أو هلاكه ، و ذلك لان الصالح العام ليس من أهداف الاشتراكية الوطنية .

(٢) والامر الثاني هو أن برامجها لا تتسع للامور المتعلقة بالرقي الديني أو السلام الروحي بل هي على النقيض من ذلك تحاول أن تضع القيود على العبادات . و هذه حقيقة تدل على ضآلة الاهمية التي تعلقها على الاديان . يضاف الى ذلك أن تلك القيود التي من وضع البشر إذا ما قبلها أو سمح بها أي دين من الاديان فانه يفقد أعلى خصائصه التي اتصف بها كدين ، وذلك لان الدين يأتي من الله ، والله وحده هو الذي يحق له أن يضع الاصول والقواعد في هذا المجال من حياة الانسان .

(٣) و الامر الثالث هو أن الاشتراكية الوطنية تغالي في تقدير قيمة الشخصية الفردية لزعيمها الاعلى وتميزها بحيث تتعدم في مقابلها قيمة صوت الامة بأجمعها وإرادتها . وهذا خطأ ظاهر لانه مهما كان الزعيم فطنا فانه عرضة للسهو عن أمر من الامور فلا يفوت من هم في مراكز صغيرة . ولهذا السبب حتم الشرع الاسلامي الشورى على الخليفة ، و عليه في الظروف العادية أن يقبل الرأي الذي يسدى اليه عند الشورى ولا يرفضه إلا إذا كانت المسألة ذات أهمية بالغة و يغلب أن يؤدي هذا الرأي المقترح الى ضرر جسيم . فالشريعة الاسلامية تفسح المجال لرأى الشعب ولرأى الزعيم في درس المسائل القائمة ثم تترك البصيرة القائد الممتازة و لتفكيره الاعلى من اختيار الطريق الذي يراه .

الحرب الحاضرة و نتائجها

و على أية حال فان هذه الحركات يعتورها النقص لانها تنحو الى التطرف في هذا الاتجاه أو ذاك . وهي إذ تفعل ذلك تخرج عن جادة الاتزان وليست الحرب الرهيبة الحالية سوى الثمرة الطبيعية الخبيثة لتلك البذور العنيفة المتطاحنة التي زرعتها و ترعاها كل من هذه الحركات في محيطها الخاص : فبريطانيا العظمى و فرنسا والولايات المتحدة تبغي كل واحدة

منها أن تحتفظ بما في حوزتها ، بينما نجد أن الامم التي تدين بالاشتراكية الوطنية و بالشيوعية تريد أن يُعاد توزيع أوراق اللعب من جديد ! . إن الاشتراكية البرلمانية التي تُعرف بالديموقراطية تحارب من أجل حماية مصالحها المنتشرة ، بينما تمتشق (برلين) و (روما) الحسام كي تقيما عالما جديداً لهما ، فبضربة سياسية بارعة وقّع الألمان مع (موسكو) ميثاق عدم الاعتداء كي يتمكنوا من توجيه جميع قواهم الى اخضاع فرنسا وبريطانيا ، ولكن عندما خرت فرنسا صريعة و سارت الجيوش الالمانية منتصرة حيثما اتجهت ، اضطر هتلر أمام ظروف الموقف الملحّة الى توجيه فرق (البانزر) نحو الصرح الروسي الذي توهم أنه أجوف اللب متداعي البنيان ، إذ أن الاسطول البريطاني حال للمانيا دون غزو انجلترا ، وكانت قاذفات القنابل الالمانية تصطاد و تسقط من سماء (لندن) ، و من ثم فان آلة الحرب الالمانية الضخمة كانت عرضة إما الى التوقف و البلى أو الى انطلاق زمامها من بين يدي هتلر إذا لم ينجح في تدبير مشروع يشغلها به ، فلذا عزم على القيام بحركة مثنوية يسحق بها روسيا و يستعد في الوقت ذاته للجولة الاخيرة مع العدو الاصلي الرابض عبر القنال ، و لكن عندما هاجمت المانيا روسيا تحالفت الاشتراكية البرلمانية الانجليزية مع روسيا الشيوعية كي يمكن القضاء على العدو المشترك و هكذا نجد أن الحركات الثلاث قد انقسمت الى معسكرين ، وقفت في أحدهما الاشتراكية الوطنية أمام الحركتين الاخريين في المعسكر المقابل . وإذا قدّر للاشتراكية الوطنية أن تنتصر فان حال الفقراء في المانيا و ايطاليا و أسبانيا و اليابان يتحسن بينما يزداد حال فقراء بقية العالم سوءاً . و على فرض انتصار المحور فان شبح المجاعة قد يختفي من بلاد المحور ولكنه سيتجه الى بقية العالم يخطى أثبت وأشد تدميراً (*) ومن جهة اخرى إذا قدّر للديموقراطية أن تنتصر فان شطراً من العالم سينال حرية سياسية جزئية و ستنال الهند ايضا نصيبها من هذا الاستقلال أما التحرر من الاستغلال التجاري والصناعي فهذا أمر آخر ، والذي يجب على الهند و بلاد التي بمثلها في الوضع أن تجاهد جهاداً طويل الامد . فمقاومة منح الحرية للشعوب المغلوبة على أمرها لن تكون من جانب الامم القديمة المتحجرة القلب وحدها بل ستكون هناك مقاومة ايضا من جانب اولئك الذين يعرفون بالاحرار لأن فقد السيطرة على الاسواق الخارجية معناه هبوط مستوى المعيشة العالي في لندن ونيويورك

(البقية على الصفحة الثانية من الغلاف)

(*) أعني الامام — أيده الله — النصيحة الآتية عند ما كان زعماء المؤتمر الهندي (والاصح الهندوسي لأنه لا يمثل إلا الهندوس الهند) ومنهم البانديت نهرو ، يدعون الى عصيان لتعاون مع الحكومة (أي البغي عملا) ، فعمل المسلمون خصوصا و الهندوس عموما بهذه النصيحة ، و أخذت الهند الاستقلال المنشود . البشرى